



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

يونيو ٢٠١٨

أحبائي،

كنت أفكر يوماً في فضل محبة الله، وفي تعدد واختلاف عجائبه التي زين بها هذه الأرض، لكي لا نكون محدودين بأي نوع من الأنواع في اختبار حبه.

هل سبق لك الانتباه إلى مجموعة أسماك تسبح، أو إلى سرب من الطيور، أو إلى خلية من النحل، أو حتى إلى أمواج المحيط؟! ألم تفتن فيما رأيت أن هناك تناغم رائع في حركاتها؟! ألم يكونوا في تناغمهم يبدو كأنهم واحد... كما لو كان لهم قلب واحد ينبض فيهم جميعاً؟! أليس إنه يوجد دائماً قوة وجمال عظيمان يظهران في الوجدانية، وبمألن الجو المحيط بالسلام والخشوع؟! متى وجدت المحبة، فالوجدانية المتولدة منها تعكس الاتضاع، وتبرز قبولنا لبعضنا البعض، وتؤكد النمو الروحي.

أما الافتخار فيضاد التواضع، ولذلك الجيش، (مع أنه ربما لا يكون هو أفضل مثال لنقتدي به في المجتمع الرهباني، ولكنني أود أن أشير إلى شيء واحد فيه، أؤمن أننا يمكننا الانتفاع منه)، ربما لا يكون الدافع هو المحبة، فالجنود يفتخرون بجيشهم، وذلك بسبب سمعته وإنجازاته، (وبالطبع إن كان الجيش يخسر في كل معاركه، فلن يرغب أحد في الالتحاق به). وهذا النجاح لم يتم إلا عن طريق وحدتهم. فلو كان هناك جيش يقبل إلى ساحة المعركة في عدم نظام... كل واحد يسير بسرعة مختلفة، وفي اتجاه مختلف... كل جندي في الجيش ينظر إلى مصلحته الخاصة... ليس له نفس الهدف. ولا نفس الفكر. ولا نفس الروح. أليس من السهل على العدو أن يخترق هؤلاء الجنود ويهزمهم جميعاً؟! "وَأِنْ أَنْقَسَمَ تَبَيَّتْ عَلَى ذَاتِهِ لَا يَفْدِرُ ذَلِكَ التَّبَيَّتُ أَنْ يُتَّبِتَ". (مر ٣: ٢٥). فمثل هذا الجيش حتماً سيكون ضعيفاً جداً.

وهكذا الأمر في المجتمع الرهباني مع وجود اختلاف واحد، ألا وهو، عوضاً عن أن يكون الدافع هو الافتخار، فدافعنا الأساسي هو محبة الله، والمحبة لبعضنا البعض، وبذلك يكون ثوب وحدانيتنا منسوجاً بالتواضع.

بمحبتنا لبعض البعض، يمكننا العمل كجسد واحد في المسيح. نحن نحتاج للاتضاع لنسلك بوجدانية في كل ما نعمل. لماذا؟! لأننا قبل التحاقنا بالحياة الرهبانية، كان كل منا يعيش وفقاً لمشيئته الخاصة، ولذلك فلكل منا آرائه الخاصة. لهذا يتوجب علينا أن نتحلى بالسهولة في التعامل، يجب أن نكون متضعين لكي يمكننا أن نصير جسداً واحداً. وربما يكون هذا هو السبب في اختيار الله للقديس باخوميوس، الذي كان جندياً في الجيش، ليؤسس به حياة الشركة الرهبانية. التي هي عبارة عن جنود متحدين في المسيح. لقد تحدث القديس بولس مرةً إلى أهل كورنثوس عن الوجدانية، موضحاً أن كل عضو ليس بالضروري أن يكون مشابهاً تماماً للآخر حتى يكونوا متحدين، بل على العكس، فهناك وحدانية في التنوع (أي إن الوجدانية تتولد من الاختلاف والتنوع وليس التشابه).

لقد قال القديس ثيودورت أسقف قورش في تفسيره للآية: "لَوْ كَانَ كُلُّ الْجَسَدِ عَيْنًا..." (١ كو ١٢: ١٧) "حتى إن كان الجسم له فقط العضو الأهم، فإنه يبقى بلا نفع بدون الأعضاء الأخرى".^(١)

من ثم فالوجدانية غريبة عن الحسد والإدانة. نحن لا نريد ما يقتنيه الآخرين، ولا نريد أن نكون مشاهيرين للآخرين في أفعالهم، لأن عيوننا شاحصة نحو الله وحده، وماذا يريد أن نكون، وأن نفعل؟

(١) من تفسير وتأملات الآباء الأولين، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، القمص تادرس يعقوب، الأصحاح الثاني عشر (المواهب الروحية) آية ١٧. مطبعة الأنبا رويس "الأوقست" الطبعة الأولى مايو ٢٠٠١. ص ٤٢٠.
(٢) نفس المرجع السابق، آية ١٨ ص ٤٢٠.

قال القديس يوحنا ذهبي الفم: "وضع الله كل جزء من الجسم حسبما اختار، فلهذا ليس لنا أن نسأل بعد لماذا صنع هكذا حسب الطريقة التي أرادها. فإننا وإن كنا لا نقدر أن نصل إلى ربوات الشروحات فإننا لا نجد أفضل من هذا، أن مسرة الخالق أن يفعل ما قد اختاره".^(٢)

إن كانت للقدم أفكار حسد تجاه اليد، مقنعة نفسها أن اليد محبوبه من الله أكثر منها، لأنها فوق، في حين أن القدم توجد بالأسفل بالنسبة للجسد، فالجسد سيتضرر كثيراً إذن!

ونحن كرهبان لا يجب أن نكون مرتبكين أو مضطربين بأفكار الإدانة تجاه بعضنا البعض، محاولين تفسير الأمور بقولنا: "لماذا؟" و "كيف هذا؟"، لأننا نثق أن الله له خطة لكل واحد منا لنكون مكملين إلى جسد واحد.

من ثم فتركيزنا يجب أن يكون في أنفسنا فقط، ونكون مطيعين لما يطلب منا أن نفعله، ونقبل بكل سرور إخواننا وأخواتنا كما هم، في ملء المحبة.

فلا الأسماك ولا الطيور ولا النحل، نسخة طبق الأصل من بعضها البعض، ولكن عندما يكون لديهم نفس المهمة، يتحركون في انسجام رائع كجسم واحد نحو هدف واحد.

في أوقات التجارب، ربما تأتي علينا أفكار خداعة محاولة إقناعنا بأن حياة الشركة تعطل نمونا الروحي، وأننا لو كنا مستقلين لوصلنا سريعاً إلى قامات روحية عالية. أو الأفكار التي تقول لنا أن القوانين والمسئوليات التي تطلب منا في حياة الشركة غير منطقية، بل هي مجرد أعباء يومية، وإن كان لنا حرية ترتيب يومنا كما نشاء عوضاً عن ما هو مطلوب منا، لكننا أوفر راحة، لأننا أفضل من نعرف ما هو صالح لنمونا!

قال القديس مرقس الناسك: "أنه لا يستطيع أحد أن يكون مسيحي حقيقي إذا لم يسلم نفسه بالكامل للصليب بروح التواضع وإنكار الذات، وأن يجعل نفسه تحت الكل، تاركاً نفسه لأن يداس تحت الأقدام، مُهاناً، محتقراً، مظلوماً، موضع سخرية واستهزاء؛ وكل هذا يجب أن يتحملة بفرح من أجل الله، غير طالباً لنفسه في رجوعه أية مميزات بشرية: مجد، كرامة أو مدح، أولئذ الطعام، الشراب أو الملابس".^(٣) من السهل أن نوجد في وحدانية إن كنا نجحد مشيئتنا، ومن السهل أن نجحد مشيئتنا بسرور إن كنا نصير خداماً للكل (مر . ١٠ : ٤٤). يارب، حررني من العبودية!

أبنائي وبناتي الأعزاء جداً والمحبوبين لدي، إنني أصلي لكي نجد هذا السلام العظيم في تحررنا من ذواتنا عن طريق صلب الذات، وأن لا نتبع مشيئة أخرى غير مشيئة الله.

ليعطينا الله أن نتحرر من أوجاعنا وأن نقبل كل الأشياء، وأن لا نرغب في شيء على الإطلاق.

سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح فلتكن مع جميعكم.

والمجد لله دائماً أبدياً. آمين.

(٣) الفيلوكاليا "النصوص الأصلية الكاملة" المجلد الأول. القديس يوحنا كاسيان. القديس مرقس الناسك، خطاب لنيقولاس المتوحد. ترجمة القس أغاثون الأنطوني. مطرانية بني سويف. الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص ١٤٧.